بركة خان ودوره السياسي والاجتماعي في بلاد القفجاق

أ.م.د. مهدي عبد الحميد حسين
نور صادق عبد الرحمن
م.م. أحمد فرحان حسين السامرائي
جامعة سامراء- كلية الآثار

بركة خان ودوره السياسي والاجتماعي في بلاد القفجاق

أ.م.د.مهدي عبد الحميد حسين
نور صادق عبد الرحمن
م.م.أحمد فرحان حسين السامرائي

الملخص:

يهدف هذا البحث الى ابراز دور الأمير بركة خان بن جوجي خان بن جنكيز خان امير القبيلة الذهبية في بسط النفوذ السياسي وتوسيع رقعة حكمه على خانيه القفجاق واتصال المغول مع مماليك مصر اجتماعيا، اذ ان بركة خان قد اعتنق الإسلام وبدخوله الإسلام مهد الطريق لأبناء قبيلته للدخول اليه.

ان بلاد القفجاق تحولت في عهد الأمير الى خانية خاصة لوحدها تابعة للمملكة الايلخانين وقد تحكم امير القبيلة الذهبية ومن بعده في روافد الأقاليم التي كانت ملاصقة للقفجاق الممتدة من انحاء روسيا الى خليج فلندا والى الغرب من داخل بولندا وقد استمر حكمهم نحو قرنين للفترة (٦٣٦-٨٨٦هـ/١٢٤٠-١٥٠٢م).

والى جانب النظام السياسي والاجتماعي كان دور بركة خان في النظام الاقتصادي بارزا والاهتمام بالأراضي التي حصل عليها المغول في السهول الروسية الجنوبية، وهنا برز دورهم عندما قاموا بالزراعة فيها الى جانب الاهتمام بالثروة الحيوانية، وكذلك الحال اهتمام بركة خان بنظام الضرائب اذ شكلت رافدا مهما لخانية القفجاق، والى جانبها ايضا التجارة التي كانت شائعة لديهم ويتم التبادل التجاري بشكل كبير مع مدينة سراي، وتتم عن طريق جلب السلع التجارية كالحرير والتوابل وغيرها.

كلمات مفتاحية: بركة خان، خانيه القفجاق، المغول، روسيا، القبيلة الذهبية.

Baraka Khan and his political and social role in the land of Qafjaq

Dr. Mahdi Abdel-Hamid Hussein
Nour Sadiq Abdul Rahman
A. L. Ahmed Farhan Hussein al-Samarrai
University of Samarra- Faculty of Archeology

Summary

This research aims to highlight the role of Prince Barakah Khan bin Jogi Khan bin Genghis Khan, Prince of the Golden Horde, in extending political influence and expanding his rule over the Qafjak Khanate and the Mongolian contact with the Mamluks of Egypt socially, as Barakat Khan had converted to Islam and by his entry into Islam paved the way for the sons of his tribe to enter him.

The country of the Qafjaq was transformed during the reign of the prince into a private khanate alone belonging to the Ilkhanen kingdom, and the Emir of the Golden Horde and after him ruled in the tributaries of the regions that were adjacent to the Qafjak extending from parts of Russia to the Gulf of Finland and to the west from within Poland, and their rule lasted about two centuries for the period (636-886 AH) / 1240-1502AD).

In addition to the political and social system, the role of Birka Khan in the economic system was prominent and the interest in the lands acquired by the Mongols in the southern Russian plains. And in addition to the trade that was common to them, trade exchange is done largely with the city of Saray, and it is done by bringing in commercial goods such as silk, spices and others.

Keywords: Berka Khan, Qafjak Khanate, Mongols, Russia, Golden Horde.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيد الأنام ومصباح الظلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) وبعد...

إن الخوض في دراسة إنجازات الشخصيات البارزة ولاسيما ممن كانوا من الأمراء وممن مارسوا أدوار تاريخية وسياسية مهمة أضفت على تاريخهم وتاريخ بلادهم ملامح تاريخية واضحة المعالم، أثرت وتأثرت بكل ما يحيط بها، فضلاً عن تغيرها لخارطة بلادهم السياسية.

وتعد دراسة أهم الملامح الرئيسة للإنجازات التي حققها الأمير المغولي بركة خان بن جوجي خان بن جنكيز خان أمير القبيلة الذهبية، من الدراسات التاريخية التي نالت أهمية كبيرة لدى الباحثين والدارسين والمؤرخين وذلك نظرا لأهميتها في كشف الكثير من الحقائق التاريخية المهمة.

وبركة خان اول أمير مغولي أسلم وبدخوله للإسلام مهد الطريق الى العديد من المغول للدخول بالإسلام، وبذلك تحول المغول في الاسلام جعلهم يتحولون بشكل مفاجئ من شعوب تسفك الدماء الى شعوب انسانية محبة للخير.

تكمن أهمية الموضوع في اختياري لشخصية (بركة خان) ودوره السياسي والاجتماعي في بلاد القفجاق لما لهذا الموضوع من أهمية في حقل الدراسات التاريخية والحضارية وقد وجدت العديد من المصادر التي تناولت شخصية (بركة خان) ولكن ذكره يقتصر على فترة حكمه ضمن الأسرة المغولية، ولم يتم التطرق الى دوره بشكل مفصل كما تناولته في مبحثي هذا.

لهذا كان من أسباب اختياري لهذا الموضوع هو ابراز دوره السياسي والاجتماعي في بلاد القفجاق ل (بركة خان) وقد قُسّمَ البحث الى:

المبحث الأول: حياته الشخصية وسيرته الذاتية.

المبحث الثاني: أعمال بركة خان.

المبحث الثالث: العلاقات الخارجية في عهد بركة خان.

المبحث الأول: حياته الشخصية وسيرته الذاتية

اسمه: هو بركة خان وقد ذكره الهمذاني بمواضع عديدة بركاي ، بركا، بركت (رشيد، ب ت) بن جوجي بن جنكيز خان المغولي، ولد سنة (٦٠٥هـ – وتوفي سنة ٦٦٥هـ /١٢٠٦-١٢٦٦م) (عمران، ب ت) .

وتلقب بألقاب منها:

١. الخان، وتعني السلطان (النسوي، ١٩٥٣).
٢. ابو المعالي ناصر الدين: وتلقب بهذا اللقب بعد دخوله للإسلام (ابن خلدون، ١٩٨٨).
٣.حسام الدين : لقب عربي اسلامي تلقب به بعد دخوله الاسلام (بارتولد، ب ت).

ثانياً: ولادته واسرته:

تشير المصادر التاريخية الى ان ولادة بركة خان كانت ببلاد القفجاق (الرمزي، ١٩٠٨) أثناء مشاركة ابيه جوجي لحملات الغزو المغولي للبلدان الاسلامية كخوارزم (طقوش، ٢٠٠٧).

ولد وسط كثير من الاخوة قدر عددهم بستة ، حيث تزوج أبوه جوجي العديد من النساء وذلك جريا على عادات المغول بالزواج بمن شاءوا دون التقييد بعدد النساء ، ومن أشهر زوجاته كانت (سوركاق خاتون) ابنة زعيم احدى للقبائل المغولية والتي انجبت له ابنه الأكبر (اوردا)، أما (سلطان خاتون) والدة (بركة خان) فقد انجبت (باتو خان، بركجار، كوكاتيمور) كما يذكر ابن خلدون أن جوجي قد تزوج من رسالة بنت خوارزم شاه وذلك في الاسر المغولي (الصياد، ١٩٧٠).

ثالثاً: نشأته واسلامه:

نشأ (بركه خان) في بيئة مغولية تقليدية يدين أفرادها بالوثنية، وقد أدى (بركه خان) مهامه الدبلوماسية والحربية الموكلة اليه بصفته واحد من كبار امراء البيت الجنكيزي، على الرغم من تلك النشأة الوثنية والانخراط بأعمال الاسرة إلا انه تحول الى الاسلام في وقت

مبكر ليبدأ فصل جديد من حياته، اضافة الى ذلك اصبح زعيما للقبيلة الذهبية وثالث ملوك القفجاق (طقوش، ٢٠٠٧).

وكان لدخول الدولة الخوارزمية تحت السيطرة المغولية دورا كبيرا في اسلام (بركه خان) وذلك بعد الصدام الذي دار في مدينة (اترار) والتي تعرف حالياً بـ (كازخستان) وكان استيلاء المغول على المدينة صعب جدا، حيث فقد المغول الكثير من الارواح في اجتياحهم لأحيائها ، لذا فقد قتلوا كل سكانها ما عدا الاطفال واصحاب المهن والنساء اللاتي اتخذوهن جواري، وبعد السيطرة التامة أصبحت خوارزم من حصة (جوجي الابن الاكبر لجنكيز خان) ومؤسس القبيلة الذهبية الذي تزوج من الاميرة (رسالة بنت السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه) (الخالدي، ١٤٠٤هـ)، وذلك خلال احتلالهم لإمارة خوارزم حيث انها وقعت في الاسر مع اسرتها على يد قوات (جوجي) قائد جيش المغول وقرر الزواج منها بالإكراه (ابو الفداء، ن ت).

وكان لحب الاميرة (رسالة) للإسلام وتمسكها به تأثيرا مباشرا على (بركه خان) وأخوه (باتو خان)، وأصبحوا من اوائل المغوليين المدافعين عن الاسلام بالرغم من انهم لم يسلموا بعد (الحافظ، ١٩٤٩).

ويعد (بركه خان) أول سلطان مغولي أسلم من بيت (جنكيز خان) ، وقد حدث ذلك أثناء عودته من (قراقورم) حيث التقى في طريقه (الشيخ سيف الدين الباخرزي) الذي شرح له الاسلام شرحا مقنعاً، فأسلم (بركه خان) على يديه وحسن اسلامه، وبدء منذ ذلك الحين في اظهار شعائر الاسلام((الذهبي، ١٩٨٥).

ولم يكن للمغول دين واحد يعتنقونه ويجمعون عليه، بل كانت الطوائف تتنازع الديانات المختلفة من شامانية (البار، ٢٠٠٨) وبوذية (الصوفي، ١٩٠٨) ومسيحية (عكاشة ، ١٩٩٢) واسلامية((المحمود، ١٩٩٥) وبالرغم من هذا فانهم بصفة عامة بعيدا عن التعصب الديني((عباس، ب ت).

كما بدأ (بركه خان) بعد اسلامه موالاة الخليفة المستعصم بالله (السيوطي، ١٩٦٥) للفترة (٦٠٩-٦٥٦هـ-١٢٤٢-١٢٥٨م) وترددت الرسل والهدايا بينهما، وقد عارض (بركه خان) غزو هولاكو (كريم الله، ١٩٩٤) لبغداد وطلب من أخيه (باتو) التدخل ومنع هولاكو

من غزو ارضي الخلافة العباسية وذلك لما بينه وبين الخليفة المستعصم من صلة (الصياد، ١٩٧٠).

وبعد ان تبوء (بركه خان) العرش، أصبح أول عاهل مغولي مسلم، وقد بذل (بركه خان) الكثير من الجهد من أجل نشر الاسلام بين المغول والقفجاق، وقد عمل على بناء المدارس الدينية والمساجد بأنحاء مملكته واستقدم العلماء والفقهاء وأقام شعائر الاسلام، فأقيمت الصلاة في بلاده، كما انه حرم شرب الخمور في معسكراته، ومنع أكل الخنزير (الدويدار، ١٩٩٨).

رابعاً: وفاته:

بعد ان استطاع (بركه خان) من القضاء على هولاكو ورث (اباقا) (العريني، ١٩٨٦) الحكم وورث الحقد والحسد وأراد الانتقام من (بركه خان) وخاصة انه هزمه هزيمة كبيرة سنة (٦٦١هـ) (الصياد، ١٩٧٠) وقد خطط (اباقا) لذلك اعد جيشاً جراراً لمقاتلة (بركة خان) وأعلن الحرب عليه، وأرسل أولاً قائده (توغاي) الذي كان يحبه حبا كبيرا لإسلامه وجهاده معه ولكنه هزم واصيب بسهم في عينه (القلقشندي، ١٩٨٥).

ولذلك قرر (بركة خان) الخروج بنفسه لمقاتلة (أباقا) الفرع الخبيث من شجرة المغول وفي الطريق أتاه اليقين فتوفي هذا البطل العظيم مجاهدا مناصرا وذلك سنة(٦٦٥هـ-١٢٦٧م) (الصلابي، ٢٠٠٩).

المبحث الثاني: أعمال بركة خان

أولاً: مشاركته في غزو روسيا والغرب

بعد أن اخضع (جنكيز خان) الدولة الخوارزمية، اجتاز القائدان (جبه (الصياد، ١٩٧٠) .وسبوتاي (Uegungeonuon, 2001) المنطقة الواقعة بين بحر قزوين والبحر الاسود الى القفجاق وروسيا لكن لم يتم لها الظروف للاستمرار في غزواتها هناك (رافع، ب ت).

وبعد تولي (اوكتان قان) الذي أراد استكمال تلك الغزوات وبذلك اعتدت حملة لغزو روسيا والغاب واسندت قواتها الى (باتو خان) الذي تألف جيشه من حوالي (خمسين الف

مقاتل) من المغول، فضلا عن سبعين ألف من رجال القبائل التركمانية الذين جلبوا (باتو) من المناطق التي احتلها في جنوب روسيا عند بدء الحملة (الجويني، ٢٠٠٧).

كما انظم تحت لوائه العديد من امراء البيت الجنكيزي كـ(بركة خان واخوه اوردا)، وكذلك أصدر أمراً (اوكتاي قان) يلزم فيه امراء المقاطعات المغولية بارسال اكبر ابنائهم للمشاركة في تلك، وبلغ اجمالي قواته حوالي (مئة وعشرون الفا) رجل وانقسموا الى اربع قوات (النجار، ٢٠١١):

١. القوة الرئيسية: كانت تحت قيادة (باتو) والقائد المغولي الشهير (سبوتاي).
٢. القوة الثانية: تحت قيادة (بوري وجويك)اتجهت ضد سكان موروم وهي مدينة روسية استولى عليها البلغار في عام ٥٥٢هـ – ١١٥٥م ثم استولى عليها المغول مابين عامي ٦٣٣-٦٣٤هـ/١٢٣٦- ١٢٣٧م (Denis r, 1999).
٣. القوة الثالثة: بقيادة (منكو) توجهت نحو الجزء الشرقي من اراضي القفجاق.
٤. القوة الرابعة: كانت بقيادة (بركة خان) اتجهت نحو اراضي شمالي القوقاز (Howarthl) لإخضاع جزء كبير من اراضي القفجاق الذين شكلوا مجموعة من القبائل البدوية التركية التي سكنت المنطقة واستقرت في القفجاق (هاورلدلام، ١٩٦٢).

ثانياً: خانية القفجاق:

عرفت دولة مغول القفجاق بهذا الاسم نسبة (لقبائل القفجاق) الذين سكنوا المنطقة الواقعة بين الفولجا والدون والمعروف انها تسمى باسم (خانية القفجاق) (اليونيني، ١٩٩٢) .أو (الوس جوجي) أي حصة جوجي وممتلكاته، وقد ذكرت دولة مغول القفجاق في الحوليات الروسية بأسم (Greut Horde) أي القبيلة العظيمة، كما عرفت ايضا باسم مملكة (باتو) و(بركة خان) نسبة الى (بركة خان) الذي أعلن الاسلام دينا رسميا للدولة.

لكنها اشتهرت باسم القبيلة الذهبية نسبة الى لون خيامهم الخاصة ومعسكراتهم ذات اللون الذهبي وتنطق بالإنكليزية (Golden Horle) ، وبالمغولية: (التون اوردا)- وبالروسية (Zalatyaorada)

كان جوجي أول من دخل بلاد القفجاق من بيت (جنكيز خان) وقد افتتن بها واتخذها مقراً لها، وبعد وفاته استكمل ابنه (باتو) فتح بلاد القفجاق وضم اليها أراضي الروس والجركس والبلغار واوربا الشرقية (الصلابي، ٢٠٠٩).

وعندما تولى (بركة خان) حكم الخانية كانت حدودها تمتد من نهر أرتيش شرقاً الى أرض بلغار الفولجا غرباً، ومن روسيا وبلاد الصقالبة (الحموي، ١٩٩٣) .شمالاً الى مملكة الايلخانين في ايران وآسيا الصغرى جنوباً، وبهذا تحكمت بلاد المغول في القفجاق فيما يعرف اليوم بروسا واوكرانيا وسيبريا واجزاء من ايران واوزبكستان وتركمانستان، كما تحكموا كذلك في روافد الأقاليم الممتدة في كل انحاء روسيا الى خليج فنلدا والى الغرب داخل بولندا، وقد استمر حكمهم لهذه المناطق الشاسعة لما يقارب قرنين ونصف من الزمن أي للفترة (٦٣٦-٨٨٦هـ/١٢٤٠-١٥٠٢م) (ابن خلدون، ١٩٨٨).

ثالثاً: النظام الاداري للدولة في عهد بركة خان

يأتي الخان على رأس السلطة في خانية القفجاق، وكان يخضع فقط لسلطة القان الاعظم في قراقورم، وكان يشترط من يتولى خانية القفجاق أن يكون من نسل (جوجي) المباشر فتولى (باتو) العرش ثم تلاه (ابنه – سركاق) ثم خلفهما (بركة خان) (Martine, 2006).

وفي عهده تغيرت الاوضاع الداخلية في دولة مغول القفجاق حيث استقل (بركة خان) بخانية القفجاق عن بقية اجزاء الامبروطورية المغولية، فعمل (بركة خان)الى اسناد ادارة اقليم روسيا الذي يمثل اكبر الأقاليم داخل خانية القفجاق الى نائبه (اولاجي) ولم يقم بأي تغيير في الاوضاع الداخلية للبلاد بصورة مباشرة فلم يغير القوانين او الدساتير او الأعراف التي سادت المنطقة (عمران، ب ت).

فأقر (بركة خان) اسرة روريك كحكام داخل الاراضي الروسية والذين حافظوا على ولاءهم للخان وان هذه الاسرة قد حققت وضعا مميزا في بلاط الخان من خلال زيارة امرائهم لبلاط (بركة خان) وأقاموا هناك لمدة طويلة واصطحبه بعضهم زوجاتهم واطفالهم الى الخانية وتزوج البعض من مغوليات، وبذلك يمكن وصف الحكم المغولي لروسيا بالامة التي تسيطر على شعبه آخر في الشؤون الدولية لكنها لم تتدخل في السيادة الداخلية وهذا مع

التزام الشعب بالولاء للسيد القطاعي أو ما يعرف بالحكم الذاتي وقد تجلى هذا الحكم من خلال تبعية الأمراء الروس ودفع الضرائب (الرمزي، ١٩٠٨).

وبدء الأمراء الروس بالقدوم الى بلاد القفجاق لتقديم فروض الولاء وذلك للحصول على موافقة الخان لتنصيبهم حكما للأقاليم التي بحوزتهم وكان على الأمراء الالتزام ببعض الطقوس والعادات المتعارف عليها في التعامل مع اسيادهم المغول (السيد، ٢٠١٧).

ومن هذه الطقوس كان يحكم على الامراء الروس الخروج لاستقبال مبعوثي الخان سيرا على الأقدام من مسافة بعيدة، وكذلك توديعهم لمسافة بعيدة، كما انهم يسجدون أمامهم ويفرشون لهم السجاجيد الفاخرة ويقدمون لهم الكؤوس المملوءة بالذهب، وكانوا ينفذون الأوامر بكل دقة، وكان يحق للخان أن يعزل كل من يريد ويعين من يريد من الأمراء الروس ويشن عليهم الغارات في حالات التمرد، كما كلف الأمراء الروس بالقبض على الخارجين على القانون وتسليمهم الى السلطات المغولية، ولم يكن من حق الامراء الروس اعلان الحرب على بعضهم أو خارج روسيا بدون موافقة الخان، كما كان على الأمراء دفع الضريبة للخان وتمركز الموظفين المغول في الأراضي الروسية من اجل الاشراف على عمل وامتثال امراء الروس لأوامر الخان (فهمي، ١٩٨٠).

ومثل السلطة المغولية في الأراضي الروسية موظفون مغول يسمون أو يطلق عليهم (الباسكاكي) وهي كلمة تركية، وكانت لديهم مهام موكلة لهم ومن هذه المهام هو اجراء التعداد السكاني اضافة الى حماية الطرق ونقل البضائع التجارية وجمع الضرائب ومساعدة الامراء الروس (الرمزي، ١٩٠٨).

ولأجل ما يقوم به هؤلاء الموظفين من اعمال منحهم الخان حصانة اضافة الى قوة عسكرية تحت امرتهم، كما ان (بركة خان) استحدث وظيفة جديدة استمرت منذ عهده وحتى نهاية القرن الثالث عشر، وهي وظيفة جامعي الضرائب الذين كانوا في الأغلب من المسلمين من وسط آسيا، حيث عمل (بركة خان) على صبغ الدولة بالصبغة الدينية، وتوافد على بلاده الكثير من العلماء والفقهاء وتم تعيينهم بمناصب مختلفة في الدولة (ابن كثير، ١٩٨٨).

رابعاً: النظام الاقتصادي في عهد بركة خان

ان الأراضي التي حصل عليها مغول القفجاق في السهول الروسية الجنوبية كانت الزراعة فيها محدودة نسبيا إلا في أماكن الواحات، لذلك ارتكز اقتصاد خانية القفجاق على ثلاثة مصادر رئيسية هي:

١. الثروة الحيوانية: إعتاد سكان هذه السهول على ترويض الخيول البرية، كما كان للخيول قيمة عظيمة في الثقافة المغولية، وذكر ابن بطوطة (ابن بطوطة، ١٣٢٢هـ) ان الخيل ببلاد القفجاق كثير جدا وثمنها قليل ومنها مصدر رزقهم واللحوم في هذه البلاد رخيصة جدا، وان أكثر ما يؤكل هو لحم الخيول والطيور اضافة الى اللبن والسمك (Martine, 2006).

٢. الضرائب: كانت خانية القفجاق فقيرة الموارد نسبياً، لذا شكلت الضرائب رافدا مهما من روافد الاقتصاد داخل الخانية وسارت عملية جمع الضرائب داخل الخانية على أساس احتمالين:

أ- كانت تتم لصالح القان الاعظم في قراقورم.

ب- تتم جميع الضرائب لخان القفجاق وحده في حين يرى رأي ثالث وهو الاقرب الى الصواب في ان جميع العائدات التي كان يتم جمعها كان يتم تقسيمها بين الحكام الجنكيزيين (Martine, 2006)).

ولكن هذا الوضع اختلف بعد نشوب حروب وصراعات بين العائلة الحاكمة نتج عن ذلك انقسام الجنكيزيون وبالتالي اصبحت عائدات الضرائب والتجارة تعود الى (بركة خان) وخلفائه دون مشاركتها مع أحد (القلشندي، ١٩١٤).

وفي بداية الحكم المغولي لروسيا، طلب المغول الروس بدفع (ضريبة العشر): أي العشر من كل شيء والتي تعني عشر السكان وعشر خيول الامراء والماشية والاشياء القيمة الاخرى، وبعد ذلك يتم فرض ضريبة على جميع الناس والتي كانت تمثل عبئاً على الفقراء والأغنياء على حد سواء، وكان يتم تسديد هذه الضريبة نقدا أو عيناً مثل (الفراء) وهي عبارة عن خمس قطع من فراء الدب الأبيض أو الثعلب الأسود أو (السمور) (Martine,)

(2006، وذلك عن كل فرد ومن يعجز عن سدادها ينظم الى طائفة العبيد (المؤسسة العربية، ١٩٩٩).

أما الضريبة الثانية فكانت تسمى ضريبة الرؤوس أو الدم وهي مقدار معين من الجواري والعبيد ويتم تسليمهم في كل عام الى محصل الخان الذي يذهب في وقت محدد من كل عام الى بلدة (موسكو) لتحصيل الضريبة المفروضة، واستلام العبيد الذين يجمعهم الامير في ميدان واسع ليختار مسؤول الخان العدد المطلوب ممن يعجبه ويترك الباقين (الرمزي، ١٩٠٨).

التجارة:

برزت في هذه الفترة مدينة سراي التي تعد مركز التبادل الاضخم في خانيه القفجاق، وعرفت باسم (سراي بركة) التي شرع بناؤها في عهد (باتو) وأتم بناءها (بركة خان) وكانت من أجمل مدن عصرها، وذلك لكونها من اهم المدن التجارية وتحتوي على العديد من الاسواق ومنها سوق العبيد (Martine, 2006).

وكانت التجارة تتم عن طريق جلب السلع التجارية كالحرير والتوابل والأحجار الكريمة والأواني الفخارية القادمة من الغرب، والملابس الشرقية لسوق سراي ويتم مبادلتها بالعبيد والجلود والمنتجات الشمالية: كالفراء الفاخر القادم من روسيا وكذلك اخشاب الغابات الروسية التي جذبت التجار اليها من كل مكان (المقريزي، ١٩٩٧).

ويتم نقل البضائع من دول البلطيق (البعلبكي، ٢٠٢٠) وشمال روسيا عبر مدينة (اوستجينوا) ومنها الى مدينة (رستوف) ثم الى (موسكو) لتشحن من هناك الى نهر الفولجا ومنه الى (اسواق – سراي) كما كان يتم اعادة تصدير بعضها كهدايا دبلوماسية وسلع تجارية الى القاهرة والى جنوب اوربا والهند والصين، وذلك عن طريق المستعمرات الايطالية في ساحل القرم (بخيت، ٢٠١٠).

وكانت للتجارة دور مهم جدا في ظهور نظام خاص بالعملة، فكانت أكبر قطعة من النقود لديهم تسمى ديناراً وأصغرها تسمى درهما، وظهرت مدن مهمة اهتمت في تلك العملة منها:

١. مدينة بلغار: كانت مقرا صيفيا لإقامة (بركة خان)، وتقع على الضفة الشرقية لنهر الفولجا وكانت ذات أهمية اقتصادية عظيمة، وكانت كذلك تحتوي على دار لسك العملة في دولة القفجاق (بارتولد، ب ت).

٢. مدينة صواديا: وتسمى (سرادق) تقع على الطرف الجنوبي لشبه جزيرة القرم وكانت نقطة حدودية بين ارض القفجاق والدولة البيزنطية وكانت ايضا محطة تجارية مهمة، ازدهرت بين القرن السابع – والثامن للهجرة كعاصمة للخانات ودار لسك العملة (ابن بطوطة، ١٣٢٢هـ).

وبذلك يكون (بركة خان) قد وفق الى حد بعيد بأنظمته التي استحدثها بمجالات عدة منها انظمة سياسية وادارية وتجارية، اضافة ارساءه لقواعد التسامح والحفاظ على الحريات الشخصية لرعاياه الموجودين داخل دولته.

المبحث الثالث

العلاقات الخارجية في عهد بركة خان

أولاً: العلاقات القفجائية مع بلغاريا

بدء الاتصال الأول بين المغول والبلغار في عام (٦٤٠هـ/١٢٤٢م) عندما اجتاحت الجيوش المغولية بلغاريا التي لم تبدي أي مقاومة للغزو مما يعطي انطباع ان بلغاريا استسلمت للسلطات المغولية وبذلك تكون قد نجت من الدمار لكن في المقابل دفعت الجزية لخان القفجاق (stvan, 2005).

وبالرغم من ان البلغار كانوا يدفعون الجزية لخان القفجاق فقد تقاربت وجهات النظر بينهم وبين (بركة خان) وأصبح هدفهم واحد وهو شن الحروب على بيزنطة بسبب استيلائها على الحصون البلغارية وذلك في عام ٦٦٠هـ/١٢٦٢م، وبهدف تحرير السلطان (عز الدين كيكاوس) (ابن البيبي، ب ت)من الاسر وعقاب باليولوج لاحتجاز رسل بيبرس الى (بركة خان) ((Henry , 1880)

ثانياً: العلاقات القفجائية البيزنطية:

ارتبطت العلاقات بين خانية القفجاق وبيزنطة، بعلاقة الخانية مع دولة المماليك في مصر، فالهدف الأساس وراء رغبة (بركة خان) في التحالف مع بيزنطة هو خدمة المصالح التجارية المشتركة لخانية القفجاق ودولة المماليك (ابن تغري بردي، ١٩٩٢).

وسيطرت بيزنطة على المناطق المؤدية من البحر الاسود الى البحر المتوسط، وبالتالي فقد احتاج (بركة خان) و (الظاهر بيبرس) الى التحالف مع بيزنطة من اجل الحفاظ على قنوات الاتصال والتجارة بينهم وحدث هذا في عام (٦٠٩هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م)، ومن أجل هذه المصالح غض (بركة خان) النظر عن احتلال (باليلوج) (Mark, 2002)لمدن الساحل الغربي للبحر الاسود من البلغار والتي لم يتمكن باليلوج من احتلالها دون موافقة المغول (عمران، ب ت).

ولكن سرعان ماتغيرت الاوضاع بين خانية القفجاق وبيزنطة وذلك على اثر احتجاز (باليلوج) رسل (الظاهر بيبرس) واعتقاله للسلطان عزالدين كيكاوس حليف (بركة خان) الذي يقال ان احدى عماته كانت احدى زوجات (بركة خان) وهي التي اوصلت استغاثة (عزالدين كيكاوس) الى السلطان (بركة خان) (العمري، ب ت).

قام السلطان (بركة خان) بارسال جيش بقيادة (نوغازي) في عام (٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م) لمهاجمة (تراقيا) وذلك عقابا لـ(باليلوج) ولتأمين الافراج ع عز الدين كيكاوس الذي اعتقله (باليلوج) مع ابنه في قلعة (اينوس) وهذا بعد سماعه بأن عز الدين ومن معه يدبرون مؤامرة للاستيلاء على عرشه وعلى اثر هذا تحركت القوات المغولية – البلغارية وعبرت نهر الدانوب المتجمد وتم فرض الحصار على قلعة (أينوس) (Henry , 1880).

وكان من نتائج هذه الحملة هو استعادة البلغاريين المدن التي احتلتها بيزنطة، كما نجح المغول في تحرير (عزالدين كيكاوس) وعقاب (باليلوج) الذي ارسل الى (بركة خان) يعرض عليه التحالف وذلك بعد ان هرب الى القسطنطينية، وأن يدفع له جزية سنوية عن (٣٠٠) ثوب من الحرير (الرمزي، ١٩٠٨).

ومما يتضح ان العلاقات بين خانية القفجاق ودول اوربا في عهد (بركة خان) قد استمرت بالعداء الصريح والمواجهات المسلحة في أغلب الأحيان وبالتحالفات التي فرضتها المصالح المؤقتة أحياناً.

ثالثاً: تحالف (بركة خان) مع المماليك في مصر

بعد استلام (بركة خان) الحكم عمل على تغير خارطة التحالفات السياسية القديمة ووضع خارطة جديدة استمرت بعد وفاته، واتجهت علاقات (بركة خان) الى التحالف مع المماليك في مصر، وهو الأمر الذي استمر مع خلفائه، وكان الهدف من تحالف (بركة خان) مع (الظاهر بيبرس) (عاشور، ١٩٧٢) (٦٠٨-٦٧٦هـ/ ١٢٥٨-١٢٧٧)، بعد دخوله الاسلام هو تكوين قوة عسكرية قوية نتج عنها انتصار (بيبرس) على (هولاكو) في معركة (عين جالوت) (عبدة، ١٩٩٤)

كما تشير المصادر الى ان (الظاهر بيبرس) أو ما يعرف بـ (قطز) قد تزوج من ابنة (بركة خان) حاكم مغول القبيلة الذهبية وانجبت منه ولدا سماه (بركة خان) حبا في شخصية هذا البطل العظيم، كما أصدر أمرا بالدعاء لـ(بركة خان) من على منابر المسلمين بعد الدعاء لـ (الظاهر بيبرس) وهذا الامر يدل على عمق المحبة والصداقة بين الطرفين (رشيد، ١٤١٥هـ)

الخاتمة

وفي نهاية البحث توصلت الى مجموعة نتائج منها:

١. ان الشخصية القيادية الاجتماعية بطبعها يمكن أن تحدث تغيرا في تركيبة المجتمع بما يلائم هذه الشخصية القيادية وهذا ما احدثه (بركة خان) من انقلاب على عادات وتقاليد المغول والخروج عنهم بدخوله الاسلام.

٢. كان من نتائج البحث هو بروز اعمال (بركة خان) وحروبه واسهاماته في النظام الاداري للدولة وكذلك انتعاش النظام الاقتصادي في دولة القفجاق وخصوصاً فيما يتعلق بالثروة الحيوانية وتنظيم الضرائب وتوسيع التجارة الداخلية والخارجية وكذلك الاهتمام بالعملة.

٣. ان هناك شخصية اخرى تحمل نفس الاسم وهو (بركة خان) ابن الظاهر بيبرس المعروف بـ (قطز المظفر) الذي كان قد تزوج من ابنة (بركة خان) زعيم القفجاق، أي ان الشخصية الثانية يكون حفيدا لـ (بركة خان) موضوع البحث.

٤. اثبتت صفحات التاريخ ان للمرأة دورها في تغيير المجتمع، وقد تجسد ذلك بشخصية الأميرة المسلمة (رسالة بنت محمد خوارزم شاه) وذلك اثناء وقوعها في الاسر بعد السيطرة المغولية على امارة خوارزم وتزويجها بالاكراه من والد (بركة خان) وبقائها وتمسكها بالإسلام مما أثر في شخصية (بركة خان) واعتناقه للإسلام.

٥. لقد تميز (بركة خان) بشخصيته القوية وحنكته السياسية وعقليته الفذة وانفتاحه على المجتمع الإسلامي والتزامه بتعاليم الإسلام.

ملحق الصور

المراجع

- ابرار كريم الله. (١٩٩٤). من هم التتار. مصر: الهيئة المصرية للكتاب.
- ابن خلدون. (١٩٨٨). العبر وديوان المبتدأ والخبر (المجلد ط٢). بيروت: دار الفكر.
- ابو الفداء. (ن ت). تقويم البلدان. بيروت: دار صادر.
- ابي العباس احمد القلشندي. (١٩١٤). صبح الاعشى في صناعة الانشا. القاهرة: المطبعة الاميرية.
- احمد بن علي القلقشندي. (١٩٨٥). ماثر الانافة في معالم الخلافة (المجلد ط٢). الكويت: مطبعة حكومة الكويت.
- احمد حمدي الحافظ. (١٩٤٩). الدوله الخوارزمية والمغول . القاهرة: دار الفكر.
- اسماعيل عبد العزيز الخالدي. (١٤٠٤هـ). العالم الاسلامي والغزو المغولي. الكويت: مكتبة الفلاح.

- اقبال عباس. (ب ت). تاريخ ايران قبل الاسلام. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- الذهبي. (١٩٨٥). دول الاسلام. لبنان: مؤسسة العلمي للطباعة.
- الرمزي. (١٩٠٨). تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار. ب م: الكريمية الحسينية.
- السيد الباز العريني. (١٩٨٦). المغول. بيروت: دار النهضه العربية.
- السيوطي. (١٩٦٥). تاريخ الخلفاء. بيروت: وزارة الثقافة والشؤون الدينية.
- المؤسسة العربية. (١٩٩٩). السعودية: مؤسسة اعمال المؤسسة للنشر والتوزيع.
- بارتولد. (ب ت). تاريخ الترك في اسيا الوسطى. ب م.
- تقي الدين ابي احمد المقريزي. (١٩٩٧). السلوك لمعرفة دول الملوك. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ثروت عكاشة . (١٩٩٢). اعصار من الشرق. ب م: دار الشرق.
- جمال الدين ابي المحاسن ابن تغري بردي. (١٩٩٢). النجزم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. بيروت: دار الكتب العلمية.
- رجب محمود بخيت. (٢٠١٠). تاريخ المغول وسقوط بغداد. بيروت: مكتبة الايمان.
- رزق الله منقوريوس الصوفي. (١٩٠٨). تاريخ دول الاسلام. مصر: مطبعة الهلال.
- رشيد الدين. (ب ت). جامع التواريخ. (محمد صادق نشأت واخرون، المترجمون) القاهرة: دار احياء الكتب العربية.
- ركن الدين بيبرس الدويدار. (١٩٩٨). زبدة الفكرة. بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع.

- سارة مسعود السيد. (٢٠١٧). عصر بركة خان سلطان مغول القفجاق للفترة (٦٠٠-٦٦٥هـ/١٢٥٧-١٢٦٦م)، رسالة ماجستير. عين شمس: كلية البنات للآداب والعلوم التربوية.
- ساهر رافع. (ب ت). جنكيز خان. الجيزة: دار طيبة.
- سعيد عبد الفتاح عاشور. (١٩٧٢). مصر والشام في عصر الايوبيين. بيروت: دار النهضة العربية.
- سلوى رشيد. (١٤١٥هـ). التاريخ السياسي والعسكري للدولة المملوكية في عهد الظاهر بيبرس. دمشق: جامعة دمشق كلية الاداب.
- طقوش. (٢٠٠٧). تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند. بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر.
- عبد الرحمن بن صالح المحمود. (١٩٩٥). موقف ابن تيمية من الاشاعرة. الرياض: مكتبة الرشيد.
- عبد السلام فهمي. (١٩٨٠). تاريخ الدولة المغولية في ايران. القاهرة: دار المعارف.
- عبد الكريم النجار. (٢٠١١). امبراطورية المغول دراسة في تكوينها وصراع الاسرة الحاكمة على منصب الخان الاعظم. ب م: مجلة اداب الرافدين.
- علاء الدين عطا مالك الجويني. (٢٠٠٧). تارخ فاتح العالم. (محمد السباعي، المترجمون) ب م: المركز القومي للترجمة.
- علي محمد الصلابي. (٢٠٠٩). المغول التتار بين الانتشار والانكسار. القاهرة: دار الاندلس الجديدة.
- عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن كثير. (١٩٨٨). البداية والنهاية. ب م: دار احياء التراث العربي.

- فاسيلي فلاديمير بارتولد. (ب ت). تاريخ الترك في اسيا الوسطى. (احمد سعيد، المترجمون) مصر: مكتبة الانجلو المصرية.
- فضل الله العمري. (ب ت). مسالك الابصار في ممالك الامصار. بيروت: دار الكتب العلمية.
- فؤاد عبد المعطي الصياد. (١٩٧٠). المغول في التاريخ. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة.
- قاسم عبدة. (١٩٩٤). عصر سلاطين المماليك. القاهرة: دار الشروق.
- قطب الدين ابو الفتح موسى اليونيني. (١٩٩٢). ذيل مراة الزمان. القاهرة: دار الكتاب الاسلامي.
- محمد سهيل طقوش. (٢٠٠٧). تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند. بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر.
- محمد بن احمد النسوي. (١٩٥٣). سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي. القاهرة: دار الفكر العربي.
- محمد عبدالله ابن بطوطة. (١٣٢٢هـ). تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار. مصر: المطبعة الخيرية.
- محمد علي البار. (٢٠٠٨). كيف اسلم المغول. بيروت: دار الفتح للدراسات والنشر.
- محمود سعيد عمران. (ب ت). المغول في اوربا. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- محمود سعيد عمران. (ب ت). المغول واوربا. الاسكندرية: دار المعرقة الجامعية.
- منير البعلبكي. (٢٠٢٠). دول البلطيق. منشور في الشبكة الدولية(الانترنيت).
- هاورلدلام. (١٩٦٢). جنكيز خان وجحافل المغول. (متري امين، المترجمون) القاهرة: ب ن.

- هوتسما ابن البيبي. (ب ت). اخبار سلاجقة الروم.
- ياقوت الحموي. (١٩٩٣). معجم البلدان. مصر: مطبعة السعادة.

- **المراجع**

- Martine. (2006). *north East Russia and the Golden horde.* Cambridge: earlyrusto, university.
- Denis r, s. (1999). *the mongols in the west, jouynal of Asian history.*
- Henry , H. (1880). History of the mangols. landon.
- Howarthl. (n.d.). *the history of the mongol.*
- Mark, C. (2002). Land and Privilege in Byzantiu. Cambridge univarsity.
- stvan, v. (2005). cumans and tatars oriental militarl military in pre ottoman baikans. Cambrnidge uninversity press.
- Uegungeonuon. (2001). *history of the mongo the mongo the life and times of ghinggis kan cuyzon land and neewyork.*